

## مقدمة الكتاب

بعد نشر كتابي «جذور التشيع» وجدت مادة علمية كثيرة لا يحتمل الكتاب السالف أن أضمنها فيه، وهذه المادة تخص العلاقة بين اليهود والتشيع عقيدة وفكرًا، حملها رجال من قبائل عربية قديمًا؛ لظروف سياسية مرت بها المنطقة، ولتجاور الشعوب السامية في المنطقة العربية، وتوارث تراثها الفكري بين الأجيال والأقوام.

وفي أثناء قراءتي لمصادر الشيعة القديمة هالني التشابه بين الأفكار الواردة في المصادر اليهودية ومصادر الشيعة القديمة، في بعض الأحيان تلمحها بوضوح، وفي أحيان كثيرة يجرون عليها بعض التحوير والتغيير المناسب للاحتجاج الزمني، وجميعها موضوعة على شكل أحاديث منسوبة إلى الأئمة. ولهذا رأيت من المناسب أن أعرض ما توصلت إليه بشكل محايد، لا غرض فيه غير العرض العلمي البحت الخالي من التجني أو التشيع، مستعملًا في الأساس المصادر الإسرائيلية والمصادر الشيعية الموثقة عندهم، وإني إن أشرت إلى مصادر أخرى، فإنما ترد على سبيل الإضافة والتعزيد لما يذكر.

ليست فرقة الشيعة وحدها التي انتقلت إليها التعاليم والأفكار اليهودية، فهذا واقع علمي وسياسي لا يمكن لأحد رد مؤثراته، حيث جرت سنة الله في خلقه أنهم وإن وضعوا في ظروف مشابهة، فلا بد أن تنتقل إليهم تلك المؤثرات شاؤوا أم أبوا. وقد شرحت في كتابي «جذور التشيع» الظروف

التي دفعت الشيعة إلى تبني تلك الأفكار، ليس فقط من اليهود، وإنما أيضاً من النصارى ومن الفرس والمجوس.

إن هذا مبلغ علم هؤلاء الرجال العرب... وكذا العجم من الإيرانيين وغيرهم... الذين صدقوا تلك النقول في وقتها؛ لأن ذلك كان مبلغ علمهم إن حسنت نياتهم، ومن كان منهم على نية سيئة، ويعلم أنه يسبب بذلك فرقة المسلمين وبذر الشقاق بينهم، أمثال عبد الله بن سبأ وأبي الخطاب وبريدة العجلي وزرارة، وكثير أمثالهم ممن دمغهم الأئمة بالكذب، ووصفوا بأنهم شر من اليهود.

إن رجال الشيعة ابتلوا كغيرهم بنقل الإسرائيليات في التفسير والحديث، ونسبوا أقوالاً لأئمتهم طالبن في ذلك إعلاء شأن الأئمة، وإنهم عالمون بعلم أهل الكتاب، فمن هذا الطريق أيضاً دخلت البلايا والخرافات والأقوال المبتكرة من اليهودية إلى التشيع، وسنلقي الضوء على هذا الموضوع؛ لأهميته.

والسؤال المهم هنا هو: هل علماء الشيعة يعرفون هذه الحقيقة؟ وإن كانوا لا يجهلون، فلماذا سكتوا عنها منذ القدم على الرغم من وضوحها؟ وللإجابة أرى:

١ - أن بعضاً من الرواة الذين نقلوا تلك الأفكار اليهودية إنما ينقلون ما يرون أنه علم حقيقي عرفوه من بيئتهم أو أجدادهم، ولا يعلمون أفضل منه، وما خطيئتهم إلا أنهم وضعوا تلك الأقوال، ونسبوا للأئمة؛ لتأخذ المزيد من التصديق وإضفاء الهالة الدينية المنفردة والمخالفة لما عليه أكثر المسلمين.

٢ - وأن بعضاً آخر من الرواة ينقلون تلك الروايات، ويضيفون إليها بسذاجة وجهل إضافات من أفكارهم ومعلوماتهم، أو مما يسمعونه دونما احتراز وتأكد منهم، مثل أحد الرواة الذين وصفهم الإمام أبو جعفر الصادق: (أنت وأصحابك كأشباه الحمير).

٣ - ولكن بعد انتشار العلم واقتربه من كل طالب منذ القرون الأولى وحتى اليوم، فلا عذر للمسلم فضلاً عن العالم، خاصة من علماء الشيعة أن يسكت عن هذه الحقيقة الواضحة في هذا البحث، ولا بد أن يجاهد لتنقية المذهب مما لحق به من خزعبلات وخرافات وأفكار بالية ومضحكة لا تليق بالعلم وأهله، والسكوت عن ذلك فيه إثم كبير، وضرر على المذهب وأهله.

إن في المذهب من شباب الشيعة من يدرسون في الحوزات العلمية، ومن وصلوا إلى دراسة ما يسمونه بالخارج، أي العلوم الدينية الخارجة بعض الشيء عما في المذهب، لماذا لا يلتفت أمثال هؤلاء لدراسة هذه الظواهر الخطيرة في التشيع؟ ذلك أنفع للمذهب وللمسلمين، إذ يسبب وحدتهم واقترابهم بعضهم من بعض، وأن يفهم كل فريق ما كان عليه الآخر من خير أو شر.

